بعد ان تساقط الثلج في ايامه الاولى

(الانـفـــراج) .. كـــان عنـــوان عـــام 2008

كتب/ محمد الغزي

عام اخر يمر على العراق وهو يخطو نحو تثبيت اسس الديمقراطية والعملية السياسية في نظام اتحادي موحد ، متجاوزا تحديات كبيرة على المستويات الأمنية والسياسية والاقتصادية.

واذا ما كان عام ٢٠٠٧ اسـتحق بجدارة ان يوصف بانه عام الانجازات الامنية فانه يمكن وصف عام ٢٠٠٨ بانه عام النجاحات الدبلوماسـية والانفتاح العراقي على العالم والعالمي على العراق ويكاد يكون اهم حدث دبلوماسي فيه هو نجاح قادته السياسيين في انجاز الاتفاقية الستراتيجية مع الولايات المتحدة الامريكية والتي تعني تحديد سقف زمني لانسحاب القوات الامريكية من العراق ونهاية ولاية قوات التحالف ان نجح في حسم معارك للقضاء على الميليشيات وتنظيمات القاعدة في محافظتي البصرة والعمارة ومدينة الصدر ببغداد وكذلك في ديالى والموصل.

في عام ٢٠٠٨ كانت بغداد التي شـهدت تسـاقط الثلج أول مرة محطة لزيارات رؤسـاء وملوك عرب واجانب في تأكيد للانفتاح الدبلوماسـي الدولي والعربي في وقت كان التقارب السياسي بين قواه السياسية عنوانا بارزاً لهذا العام وهو ما دفع رئيس الجمهورية جلال طالباني الى اطلاق تسمية (الربيع السياسي) على العملية السياسية.

لكن ذلك كله لم يمنع بشكل نهائي حدوث خروق أمنية ابتدأ عام 2008 بها حيث فجر انتحاري حزامه الناسف داخل مجلس عزاء في منطقة زيونة شرقي بغداد ما اسفر عن مصرع (30) شخصا واصابة 38 اخرين معظمهم من كبار ضباط وزارتي الداخلية والدفاع .

وشرعت الحكومة في هذا العام بإعلان الحرب على الفساد إذ أكد نائب رئيس الوزراء برهم صالح ان الارهاب في بلاده اصبح يتغذى على الفساد الذي ينخر جسد الدولة واصبح للعنف اقتصاده السياسي الخاص به والذي يديمه الى جانب آلياته وشبكاته الخاصة الاخرى نتيجة عدم رسوخ المؤسسات وسلطة القانون وغياب المساءلة والشفافية الحقيقيتين .

تصريح صالح هذا جاء في الملتقى الاول لمكافحة الفساد الـذي عقد في الثالث من كانـون الثاني من عام 2008 في بغداد حيث شهد ايضا الدعوة الى اطلاق مشروع الحكومة الالكترونية للحد من الفساد الاداري والمالي .

واوضـح صالح " ان الفساد في بلادنا يهددنا في الصميم وهـو تحد جسـيم لا يمكن الاستهانة به " لافتا الى " ان الفساد والارهاب يتغذى احدهما على الاخر ويغذيه " .

هاجس الحكومة هذا في بدء عـام 2008 باعلان الحرب علـى الفسـاد كان في مسـعى منهـا للنـأي بعمليـة الاعمار والبنـاء عـن الفسـاد الاداري والمـالي ، رافـق ذلـك جهـد دبلوماسـي عراقي بهـدف الحفاظ على الامـوال والودائع العراقية في الولايات المتحدة الامريكية وهو ما دفع رئيس الولايـات المتحدة الامريكية جورج بوش الى استخدامه (الفيتو) على قانون الكونغرس الذي كان سيلغي الحصانة على الاموال العراقية المودعة في البنوك الامريكية.

وبلا شـك كان بامكان قانون الدفـاع الوطني لعام 2008، الـذي شرّعه الكونغرس الامريكي الغاء الحصـانة على الامـوال العراقية المودعـة في البنوك الامريكيـة، كما كان يسمح برفـع دعـاوى التعويض للمتضـررين من افعال النظام السابق ويجعل أموال العراق المودعة في صندوق تنميـة العـراق (DFI) والبنوك الاخرى مكشوفة ودون حماية من إدعاءات تعويض تزيد على 1000 مليار دولار أمريكي حسب المادة 1083 من هذا التشريع وكان يشكل تهديـدا كبيـرا لقـدرة الحكومة العراقيـة علـي إسـتثمار أمـوال العراق في تمويل ميزانية الدولة ومشـترياتها من مفردات البطاقة التموينيـة وبناء قدراتها وقواتها الامنية .

لكـن الوكيـل القانـوني للحكومـة العراقيـة في الولايـات المتحـدة اتصـل بالمستشـار القانـوني للحكومـة، وابلغـه بضـرورة التحـرك الفوري لمعالجـة هذا الأمر مـع الإدارة الأمريكيـة الامـر الـذي افضـى الى اسـتخدام (الفيتـو) الرئاسي الأمريكي.

وفي جانـب اخـر وقعـت وزارة الكهربـاء في الثالـث من كانـون الثـاني عقداً مع شـركة هيتاشـي اليابانيـة لإكمال مشـروع تأهيـل محطـة كهربـاء التاجي الغازيـة بموجب المنحة اليابانية .

وفي الخامـس مـن كانـون الثـاني الثـاني شـهدت بغـداد اطـلاق مجموعـة (زين العراق) للموبايل بعد دمج شـركتي (عراقنـا) و(ام تي سـي اثـير) حيث أعلنـت مجموعـة زين للهاتـف النقال دمج شركتي (عراقنا) و(ام تي سـي اثير) في إطـار توحيد عملياتها التشـغيلية في السـوق العراقية لتطلق (زين العراق) حيث تجاوزت قاعدة عملاء الشـركة الجديدة (زين العراق) سبعة ملايين مشترك .

وتواصل الحكومة العراقية مسعاها الاقتصادي حيث اعلن أول مـرة نائب رئيس الـوزراء برهم صـالح برفقة وزراء اقتصـاديين في السـابع من كانون الثـاني امام البرلمان ان حجـم الموازنة الاسـتثمارية سـتبلغ 19 مليـار دولار على حـين أكد وزير المالية باقر جبر الزبيدي ان العراق سـيقدم طلبا الى مجلس الامن لتكون نسبة التعويضات المقدمة الى الكويت 1 بالمئة بدلا من 5 بالمئة من قيمة النفط المبيع.

النجـاح العراقـي كان علـى صعـد مختلفـة حيـث نـال البروفسـور أحمد مطلوب الناصري أسـتاذ البلاغة والنقد ورئيـس المجمـع العلمـي العراقـي بالوكالـة جائـزة الملك فيصل العالمية في فرع اللغة العربية والأدب بحفل أقيم في العاصمة السعودية الرياض في الثامن من كانون الثاني .

وفي العاشـر من كانون الثاني وضمن اسـتمرار النجاحات الأمنيـة تعلـن الحكومـة اعتقال مدبـر تفجيرات سـامراء وعصـابة كانـت تخطـط لتهريـب مقتنيـات المرقديـن العسكريين ، وصف قائد عمليات سامراء اللواء رشيد فليح المعتقـل بانه "العقل المدبر" للتفجـير الثاني لمرقد الإمامين العسـكريين موضحـاً إن قـوات الأمـن ألقـت القبض على (محمـود حميد دهوي)" ، وأضـاف اللواء فليح الشـخص انـه تم العثـور مع المتهم " على العديد مـن المقتنيات وآثار ثمينة تعود للمرقدين الشريفين، تشمل نسخة من المصحف الشـريف ودروعـاً وسـيوفاً " ولم يمض يـوم واحد حتى اعلـن محافـظ صـلاح الدين حمد حمـود مقتل (ابـو قتادة السـعودي) ابرز قياديي تنظيم القاعدة في عملية عسكرية نفذتها القوات الامنية بمساعدة الجيش الامريكي جنوبي غرب سـامراء 120 كلم حيث قضى مع ثلاثة من مساعديه فضلا عن اعتقال 12 من مساعديه الاخرين.

بغداد كانت على موعد لسـقوط ثلوج في الحادي عشر من كانـون الثـاني أول مـرة في ظاهرة غريبة لم تحصـل منذ اكثر من خمسين عاماً.

ويبدو ان سـقوط الثلج كان عنواناً للانفراج الدبلوماسـي والسياسـي حيـث عكفـت رئاسـة الجمهورية علـى القيام بجولتـين اقليميتـين قـام بهمـا كل مـن نائبـي رئيـس الجمهوريـة عادل عبـد المهدي وطارق الهاشـمي الى ايران والكويت اللتين جرت مناقشـتهما باشـراف الرئيس جلال طالبـاني الى جانب تفعيل الاجتماع الرباعي وبذل الجهود لاصلاح الوضع السياسي في العراق .

الرئيـس جـلال الطالبـاني اكـد في اليوم نفسـه ضـرورة تعزيـز العلاقات مـع دول الاتحاد الاوروبـي وعلى جميع المسـتويات بمـا يخـدم المصـالح المشـتركة بـين الجانبين ويدعم عمليـة التطور والازدهار في عموم منطقة الشـرق الاوسـط في حـين دعـا رئيـس الـوزراء نـوري المالكي دول الاتحاد الأوروبي الى الاسـتثمار في العراق والاسهام في اعادة اعماره وبنائه.

الربيع السياسي الذي تحدث عنـه الرئيس جلال طالباني كان مـن أولى بـوادره توصـل البرلمـان الى اقـرار قانون المسـاءلة والعدالـة ليكون بديلا جديـدا ومنقحا عن قانون اجتثـاث البعـث بعـد ان فشـل في ثـلاث مرات سـابقة من تمريره .

وصوت البرلمان بالأغلبية على مشروع القانون في خطوة عدها الكثيرون انصافا لشريحة كبيرة من المجتمع العراقي لايمكن الاسـتمرار في عقوبتهم وفق قانون اجتثاث البعث السـابق .ولم يمض على الهدوء النسبي في المشهد الامني اسابيع حتى اندلعت في الثامن عشر من كانون الثاني في محافظتـين بجنوبـي العراق هما البصـرة الغنيـة بالنفط وذي قار بين مسـلحين من اتباع فرقة دينية شيعية وقوات الامـن العراقيـة اسـتشـهد علـى اثرهـا قائد لـواء طوارئ الناصـرية العقيد ناجي رسـتم الجابري وأصيب امر فوج التدخل السريع المعروف بفوج الاهوار بجروح خطرة.

الاشـتباكات التـي اندلعت في المدينتين والتي اسـفرت في بـادئ الامر عن سـيطرة المسـلحين مـن اتباع زعيـم ديني يدعى احمد الحسـن والملقب بـ(اليماني) على نقطة تفتيش تابعة للشـرطة العراقية في مدينة البصرة واضرموا النار فيها وكانت مؤشرا لظهور جماعة السلوكيين.

وأكـد وزير الأمـن الوطني شـيروان الوائلي: ان توقيت ظهـور جماعة (جند السـماء) كان في نفس التوقيت الذي حدثت فيه اشـتباكات مع جماعة انصـار المهـدي ما اوحى بأنهما نفس الجماعة او ان لهما جذورا واحدة، مشـيراً الى ان الجماعتين تعتقدان بظهور الامام المهدي في العاشر من محرم وانه ينبغي قتل علماء الدين الذين يسمونهم بحسب زعمهم (علماء الضلالة) لكن مجموعة انصار المهدي يتبعون رجل يسمي نفسه (الامام احمد بن الحسن اليماني) والذي يزعـم بانه النائب الخامس للامام المهدي المنتظر وانه احد رسله الذين يسبقون ظهوره في اخر الزمان.

وأعلنت الحكومة ان هذه الجماعة حركة محظورة وتجاوز عدد المعتقلين من اتباعها الـ 300 معتقل .

وفي الثـاني والعشـرين مـن كانـون الثـاني أقـر البرلمان العراقـي علماً جديداً خالياً من النجمات حيث صـادق على علـم جديـد مؤقت للعراق شـمل تغيـير العلم السـابق بعد ازالـة النجـوم الثـلاث وذلـك باغلبيـة أصـوات 110 من النواب الحاضـرين قبل ان تصادق الرئاسـة على القانون باسبوع واحد.

وتضـمن العلم الجديد الغاء النجوم الثلاث للعلم السـابق مع كتابة عبارة (اللـه اكبر) بالخط الكوفي، ووفقا لما نص عليه قانون العلم فـان ألوان العلم الذي اقره البرلمان تمثل ألوان الرايات الإسلامية.

وفي استمرار للعمليات الامنية ولكن في مكان اخر تحركت في السـابع والعشـرين مـن كانـون الثـاني قـوات عراقية مدرعة باسناد جوي نحو الموصل لشن (المعركة الحاسمة) ضد تنظيم القاعدة والعراق يغلق حدوده مع سوريا.

لكـن اليوم نفسـه كان غائما على بغداد التي شـهدت حريقا التهـم طوابق عدة مـن مبنى البنـك المركـزي العراقي قبل ان تتمكن فـرق الاطفاء من اخمـاده الحريق بعد سـاعة من نشـوبه فيمـا ويكشـف حتى الان عـن نتائـج التحقيق في اسـبابه .وفي الاول من شباط اقدمت الجماعات الارهابية علـى تفجير فتاتـين مختلتين عقليـا تم اسـتغلالهما بحمل كميـة من المتفجـرات في حزامين ناسـفين وتفجيرهما في سـوقي الغـزل وبغـداد الجديدة لبيـع الحيوانـات الاليفة والطيـور مـا اسـفر عـن مصـرع اكثر مـن سـبعين مدنيا واصـابة نحـو 170 اخرين بجروح وقد اسـتنكرت رئاسة الجمهوريـة الجريمتـين مطالبـة المجتمع الـدولي وجميع الاوسـاط الشعبية والسياسـية والدينية باسـتنكار صريح لـ"الجريمتين البشعتين".

مسلسـل الاغتيـالات والتصـفية الجسـدية لم ينتـه ليعود في الثالث من شـباط باغتيال مدير دائرة شـؤون الشرطة الاتحاديـة المقـدم أحمـد ابراهيـم بانفجـار قنبلـة زرعهـا مجهولون داخل سيارته في حي المنصور غربي بغداد وبعد يـوم واحد اغتيـل الملحق في وزارة الخارجيـة وليد هيثم ادريس في المنطقة نفسها بنيران مسلحين مجهولين.

وفي الخامس من شـباط علـى العراق الثالث من تشـرين الاول عيدا وطنيا وعطلة رسمية وأنهى جدلا سياسيا حيث قال الناطق باسـم الحكومة علي الدباغ ان مجلس الوزراء وافق على مشـروع قانـون للعطل الرسـمية باعتماده ايام العطل السابقة مضافاً اليها الثالث من تشرين الاول وهو اليـوم الـذي دخـل فيـه العـراق الى عصبـة الامم في عام 1932.

وفي السـادس من شـباط قـام مسـؤولان عسـكريان هما العراقـي محمـد العسـكري والامريكي غريغوري سـميث بعرض شريط يظهر قيام تنظيم القاعدة بتدريب اطفال في العـراق ما يكشـف عري تنظيم القاعدة حيث بين الشـريط قيـام التنظيـم المحظور بتدريـب اطفال تـتراوح اعمارهم بين ثماني سـنوات وأربع عشـرة سـنة على عمليات القتل والاختطـاف واقتحـام المنـازل ... فضـلا عن صـور لطفل يرتدي حزاماً ناسفاً وذلك في احد بساتين منطقة خان بني سعد قرب بعقوبة .

وفي السـابع مـن شـباط زارت العـراق نجمـة السـينما الامريكيـة انجيليـا جولي ضمن مسـعى لدعـم اللاجئين العراقيين كسفيرة للنيات الحسنة للأمم المتحدة.

وفي التاسـع من شـباط رئيس الجمهوريـة جلال طالباني يزور مدينة النجف ويلتقي سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني لبحث تطورات الاوضاع في العراق.

وفي العاشـر مـن شـباط تسـبب انفجـار صهريج يقوده انتحـاري في الموصـل بانطفـاء تـام لمنظومـة الكهربـاء الشمالية الشرقية .

وفي الحـادي عشـر من شـباط فجعـت الاوسـاط الثقافية بوفـاة الروائـي العراقـي فـؤاد التكـرلي عـن عمـر يناهز الواحـد والثمانـين عاما في العاصمـة الاردنيـة عمان بعد معاناة طويلة مع المرض واهتمت (المدى) الجريدة بتغطية هذا الحدث بينما تكفلت (المدى) المؤسسة بإحياء ذكراه في احتفالية لاسـتذكار منجزه وهو ما سـنطلع على تفاصيله في اهم الاحداث الثقافية في الصفحات الثقافية

وفي الثالـث عشـر مـن شـباط ينجـح البرلمـان في تمرير الموازنـة لسـنة 2008 وقانـون مجالـس المحافظات غير المنتظمـة بإقليـم والعفـو العام بعد جدل واسـع اسـتغرق اشهراً عـدة.وفي الثـاني والعشـرين مـن شـباط القوات التركيـة تنفـذ عملية عسـكرية واسـعة في اراضـي اقليم كردسـتان شـمالي العراق في تحرك عسـكري واجه ادانة عراقيـة وعامـة وعالميـة قبل ان تنسـحب تلـك القوات من اراضـي اقليم كردسـتان في التاسع والعشـرين من الشهر نفسـه بعد تنفيـذ عملية عسـكرية لمطـاردة عناصر حزب العمال الكردستاني ، وابدت رئاسة الجمهورية والحكومة العراقية بشكل عام مقدرة كبيرة في حسم هذا التدخل كان لتحرك الرئيس جلال طالباني الاثر الابلغ في سرعة الحسم ليتسلم بعد ذلك رسالة من الرئيس التركي عبد الله غول في وقت بحـث فيه نائب رئيس الجمهورية العراقية عادل عبد المهدي في اتصـال هاتفي مع نائب الرئيس الامريكي ديك تشيني التدخل العسكري التركي في شمالي البلاد، وشددا على ضـرورة احترام سيادته، كما شـدد مجلس الوزراء علـى ان العمل العسـكري الاحادي امر غـير مقبول ويهدد العلاقات الطيبة بين البلدين الجارين.

وفي الثالث والعشرين من شـباط نقيب الصحفيين شهاب التميمي يصـاب بجروح بالغة اثر تعرضـه لمحاولة اغتيال في منطقـة الوزيريـة ببغـداد قبـل ان يلقـى حتفـه متأثراً بجروحه في السابع والعشرين من الشهر نفسه .

وفي التاسـع والعشرين من شـباط، الإعلان في بغداد عن مصادقة هيئة الرئاسة على اعدام علي حسن المجيد.

وفي التاسـع والعشـرين من شباط، مسـلحون يختطفون رئيس اساقفة الكلدان في الموصل المطران مار بولس فرج رحـو ويقتلون ثلاثة من مرافقيـه ولم يمض على اختطافه سـوى اسـبوعين قبل ان يعثر على جثته في حي الانتصار شمالي الموصل ما اثار موجة اسـتنكار حكومية وشعبية ودولية.

وفي الثـاني من آذار يتـوج الانفتاح الدبلوماسـي بزيارة الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد الى بغداد في زيارة تاريخيـة للعراق هـي الاولى لرئيس ايـراني منذ اكثر من ثلاثـة عقـود ، واسـتقبل الرئيس جـلال طالبـاني في مقر رئاسـة الجمهورية نظيره الايراني احمدي نجاد الذي اكد انه من مصلحـة شـعوب ودول المنطقة وجـود عراق متحد ومتطور . واسـتغرقت زيارة نجاد ثلاثة ايام لتكون اطول زيـارة لرئيس دولـة الى العراق منذ سـقوط النظام البائد كمـا تعـد الاولى لرئيس ايـراني الى العراق منـذ الثورة الاسلامية في ايران عام 1979.

وفي السـابع من آذار أكد الزعيم الديني مقتدى الصدر أنه اختـار الانعزال احتجاجا على بقـاء المحتل. وقال في بيان وزعه ان بقـاء المحتل وعدم تحرير العـراق من جهة وعدم انصياع الكثير وانحرافهم دفعني للانعزال عنهم احتجاجاً علـى ذلك واعتراضـا عليـه موضحـاً ان غيابـه كان بهدف الدراسـة والتعلم حسبما أوصاه والده الذي اغتاله النظام السابق مع اثنين من أنجاله عام 1999.

وكان الصدر قد اعاد تجميد جيش المهدي الذي يتزعمه لمدة سنة اشهر جديدة ابتداء من 26 فبراير الماضي.

وفي العاشـر مـن آذار مدينة اربيل تضـيف اعمال الدورة الـ 50 لمجلـس الاتحاد البرلماني العربـي والمؤتمر الـ 13 للاتحـاد على مدار ثلاثة ايام بمشـاركة وفـود برلمانية من 19 دولة عربية منتجا افاقا جديدة من التعاون والتنسيق المشـترك وانفتاحـا عربيا مهما على العـراق قبل ان يختتم المؤتمـر اعمالـه بالتاكيـد على تفعيـل دعوة امـير الكويت لعقد قمة اقتصـادية والاشـادة بمجلس التعاون الخليجي وبتسمية رئيس البرلمان محمود المشهداني رئيسا للاتحاد البرلماني العربي

وفي المؤتمـر اكـد الرئيس جلال طالبـاني ان العراق عانى ظلماً إعلامياً وتشويشـاً لمواقفه العربيـة مؤكدا ان العراق سـيظل عامـلاً مهمـاً في التضـامن العربي كما اكد تمسـك العـراق بمسـاندة القضـايا العربيـة وفي مقدمتها قضـية فلسـطين بوصفها قضية أساسية ومحورية كما اكد تمسك العـراق بالقـرارات العربيـة الجماعية بما فيها مـا يتعلق بالجـزر الإماراتيـة وشكر المؤتمرين لانتخابهـم الدكتور محمود المشـهداني رئيسـا للاتحـاد البرلماني العربي وقال انه سـيكون عاملا لتوطيد الاخوة والتضـامن بين العراق واشقائه العرب.

في حـين أكـد رئيـس إقليـم كردسـتان العـراق مسـعود البـارزاني ان انعقـاد مؤتمـر الاتحـاد البرلمـاني العربـي في اربيل ، عاصمـة اقليم كوردسـتان يعـد تحولاً في غاية الأهمية في التاريخ السياسي لكردستان

وفي الثالـث عشـر مـن آذار فجر انتحاري مجهول سـيارة مفخخـة بالقرب من محال أزياء في مجمع الخيام بسـاحة التحرير بعد ان رفض تحريك السـيارة ما تسـبب بمصرع 20 مدنياً وإصابة نحو 70 اخرين وعد الحادث الاكثر بشـاعة لكونـه أعـاد الى الأذهـان التفجـيرات الدامية بعد اشهر من الهدوء النسبي وغياب المفخخات.

وفي الرابـع عشـر مـن آذار الكاردينـال دلي الثالـث يحث المسـيحيين في اثناء تشييع رئيس اساقفة الكلدان المطران بولس فرج رحو على ضـبط النفس مذكرا باهمية كونهم مسـالمين في العـراق والمئات من المسـيحيين ورجال الدين يشاركون في مراسيم دفن المطران رحو.

وفي السابع عشر من آذار تسبب تفجير قرب ضريح الامام الحسـين في محافظة كربـلاء بمصـرع 40 مدنيا وجرح نحـو 70 آخرين وهو ما دفع السـلطات المحلية الى اعلان حظرا للتجوال على المركبات والأشخاص في المدينة.

وفي السـابع عشـر من آذار تعود الحكومة العراقية لتأكيد خطـر الفسـاد على عملية البنـاء وذلك لدى انطـلاق أعمال مؤتمر إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد برعاية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وبعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ، وفي هذا المؤتمر اكد نائب رئيس الوزراء برهم صالح ان الفسـاد الاداري يهدد التوزيع العادل لموارد البلاد واعادة الاعمار والبناء والاستثمار.

واسـهم النجـاح في خطـة فرض القانـون بطـي صفحة بغيضـة راهـن عليها المسـلحون تمثلت بالفتنـة الطائفية، وسـعت الحكومـة الى التاكيد على هزيمـة الظلام وفرض سيادة القانون والدولة طي تلك الصفحة، وذلك من خلال قيـام رئيس الـوزراء نـوري المالكي بزيارة وصفت بانها مثيـرة الى منطقـة الاعظمية ووسـط اسـتقبال جماهيري حافل بالتزامن مع الذكرى الخامسـة لحـرب حرية العراق التي شـهدت الاعظمية احد مشـاهدها المهمة حين توجه لها صدام قبل فراره الاخير من قوات التحالف عام 2003.

المالكي وصـف في تلـك الزيارة عـودة 200 عائلة مهجرة الى الاعظميـة بعد اسـتتباب الامن بالاخـوة الحقيقية في الاعظميـة، وأطلق المراقبون علـى الزيارة عنوان "المالكي بدلا من صدام وسط جموع الاعظمية في الذكرى الخامسة للحرب". وأعطـى النجـاح الباهر الـذي حققته خطة فرض القانون في بغداد ايضا دفعا قويا لبدء خطط مماثلة لبسط سـلطة القانون وحفظ هيبة الدولة ، وجاءت عملية صـولة الفرسان في مدينة البصرة لتشكل ضربة قاصمة للخارجين عـن القانون أعـادت الحياة لمدينة البصـرة وموانئها التي تحررت من العصـابات الاجرامية التـي كانت تعبث بأمن المواطن وتسرق الثروة الوطنية .

وشـكلت عملية فرض القانون في البصـرة منعطفا كبيرا في مسـيرة العملية السياسية ، فقد حظيت الاجراءات التي قـام بها رئيس الـوزراء بدعم وتأييد وإجمـاع وطني غير مسـبوق من جميع الكتل السياسـية وبتعضـيد من رئاسة الجمهورية ولقيت اصـداء ايجابية في المحيطين الاقليمي والدولي .

ففـي الرابـع والعشـرين مـن آذار رئيس الـوزراء نوري المالكـي يتوجـه الى مدينـة البصـرة في زيـارة ثانـي بعد يـوم واحـد من تعرض موكب وزيـر داخليتـه الى هجوم صـاروخي في المدينة نفسـها وعقب كشـف الناطق باسم الحكومـة علـي الدباغ عـن خطط لإعـادة هيكلـة وتكثيف وجـود القوات الأمنيـة هناك اطلق عليها فيما بعد تسـمية صـولة الفرسـان.وفي نفس اليـوم يعلـن فرض حظـر التجـوال في البصـرة وايقاف الدراسـة والمالكي يقول ان الخـروج عن القانون فيها يتم بسـتار ديني وسياسـي فيما اعلن التيار الصـدري عن عصـيان مـدني في جانب الكرخ اعقبته اشـتباكات مسـلحة في شـرقي بغـداد وبالذات في مدينـة الصـدر وحـي الامـين والمشـتل والعبيـدي وعـدد مـن ضـواحي شـرقي العاصمـة قبـل ان يتم فرض حظر التجـوال في تلـك المناطق في اعقاب قيام مسـلحين بحرق مكاتب للمجلس الاعلى وحزب الدعوة الاسـلامية في حين تواصل سقوط قذائف الهاون على المنطقة الخضراء وعدد من احياء بغداد في وقت كان الزعيم الديني السـيد مقتدى الصـدر امـر اتباعـه بعـدم الاعتـداء علـى رجـال الامن من شـرطة وجيش واهدائهم اغصـان الزيتون والمصاحف في حين علقت الكتلة الصـدرية مشـاركتها في البرلمان مطالبة بسحب الثقة من حكومة المالكي .

وفي الخامـس والعشـرين مـن آذار الحكومـة تفرض اجراءات امنية مشـددة وتعد اللجوء الى العصـيان المدني تهديداً للسلم المدني وتطالب الموظفين الالتحاق بوظائفهم، والسـلطات الأمنيـة في ثـلاث مـدن عراقيـة هـي كربـلاء والديوانيـة وبابـل تفرض حظـرا للتجـوال لتنضـم الى مدن الناصـرية والكوت والسـماوة على خلفيـة العمليات العسـكرية التي تجري في مدينة البصـرة ضـد ميليشيات مسـلحة اطلق عليها تسمية عملية (صولة الفرسان) والتي امتدت تداعياتها لتخلف توترا امنيا اجتاح مدناً عدة.

وصـفت تلك المعارك بانها نقطة تحول بينمـا أعلن الناطق باسم الحكومة علي الدباغ ان معركة البصرة كسرت حاجز الخوف من مواجهة الخارجين عن القانون.

ولم يمض يومان على العملية العسـكرية التي احتدمت في مناطق عدة من العراق حتى اقدم مسلحون في البصرة على اضـرام النار في انبوب لتصـدير النفط كما قام مسلحون اخرون باختطاف تحسـين الشـيخلي الناطق المدني باسم خطة فرض القانون من منزله في حي الامين جنوبي شرق بغـداد .ومع دخول عملية صـولة الفرسـان يومهـا الرابع اعطـى رئيـس الجمهوريـة جـلال الطالبـاني زخمـا كبيرا لرئيس الوزراء نوري المالكي بعد ان اعلن تأييد جهوده في فرض القانون وهيبة الدولة في البصرة، جاء ذلك في وقت اعلن فيه قائد القوات البرية في البصـرة اللواء الركن علي زيـدان ان 120 مسـلحا قتلوا في الاشـتباكات الدائرة في المدينة وان 450 اخرين اصـيبوا بجروح متفاوتة، وذكر بيان صـادر عن اجتماع للرئيسين طالباني وبارزاني أنهما أكدا تأييد الحكومة في فرض القانون وهيبة الدولة.

وفي الثلاثـين مـن آذار طالـت الاشـتباكات المسـلحة التي اندلعـت في مناطـق عدة من بغـداد على خلفيـة القتال في البصـرة رياضـيين عراقيـين بينهـم الامين العام المسـاعد للجنـة الاولمبيـة العراقية رعـد جابر وذلك اثـر اطلاق نار متبادل على موكب يقل عدداً من المسـؤولين الرياضيين في شارع السعدون بوسط بغداد.

وفي الثلاثين من آذار الزعيم الديني السـيد مقتدى الصدر يأمر بانهاء المظاهر المسـلحة ويتبرأ مِن مَن يحمل السلاح بوجـه الحكومـة وذلك انطلاقـا من المسـؤولية الشـرعية وتمهيدا لاستقلال العراق.

وفي الثالـث من نيسـان أعلن الناطق باسـم عملية صـولة الفرسـان اللـواء الركن عبد الكـريم خلف ان قـوات أمنية عراقيـة تمكنـت من اعتقال الامـين العام لمنظمة (ثـأر الله) في البصـرة يوسف سناوي الموسـوي لدى دهم منزله في دور نواب الضـباط شمالي البصـرة في عملية اسفرت عن اعتقال سـتة اخريـن من افراد تنظيمه ذكـر ان بينهم ثلاثة من اشقائه.

وفي الخامـس مـن نيسـان أقـدم مسـلحون مجهولـون علـى اغتيال الاب يوسـف عادل راعي كنيسـة مـار بطرس للسـريان الارثوذكس بالقرب من منزله في شارع الصناعة وسط بغداد.

وفي السـادس من نيسـان أقدم مسـلحون على حرق اكثر مـن مئة محل في بغداد كمـا قاموا باطلاق النـار على فرق الاطفاء التي سـارعت لإخماد النيران ما تسـبب بخسـارة كبـيرة في مجمع جميلـة التجاري، وفي اليوم نفسـه اقدم مسـلحون مجهولـون علـى خطـف 42 طالبـا جامعيا من محافظة الموصـل كانوا يسـتقلون حافلتـين متوجهين في رحلـة الى منطقة حمـام العليل السـياحية وذلـك في قرية الجرن جنوبي المحافظة.

ولم تمـض سـوى اربعـة ايـام وبالتحديد في العاشـر من نيسـان حتـى تمكنت الشـرطة العراقيـة من اعتقـال ابرز مسـاعدي زعيـم تنظيـم القاعـدة في العـراق (أبـو أيوب المصـري) الذي يتـولى إمارة المنطقة الغربيـة في التنظيم الذي بـدأ يتهاوى اثر ضـربات القوات العراقيـة ، المعتقل عـرف بلقب (أبـو الجراح) واسـمه نزال صـبار عبـد الله الجغيفي وتـم اعتقاله في شارع 20 وسـط مدينة الرمادي.

وبعـد يـوم واحد ولكـن في محافظة النجف اغتيل السـيد رياض النوري ابرز مساعدي الزعيم الديني السيد مقتدى الصـدر، بينما كان يهم بالنزول من سـيارة كانت اقلته الى منزله وسرعان ما فتح مجهولون نيران اسلحتهم الرشاشة صـوبه ما تسـبب بوفاته على الفور ، الحادث اثار استياء واستنكار وادانة اوساط حكومية ودينية من كل الاطراف ودعـا الرئيس جلال طالباني الى التحرك بسـرعة لكشـف الجناة وتقديمهم الى العدالة واصفا حادثة اغتيال النوري بانهـا "جريمة نكـراء" كما عدهـا "محاولة اثيمـة لزعزعة الاسـتقرار واثارة الفتن والدفع نحو الاحتراب بين الاخوة في الوطن والدين والمذهب".

وفي السـابع عشـر من نيسـان مصـادر طبية تكشـف عن تقارير تفيد بمصرع 300 شخص واصابة 1621 اخرين في مدينة الصـدر منذ 25 آذار ولم يمض سـوى 13 يوما حتى اعلن تحسـين الشـيخلي المتحدث المدني بلاسم خطة فرض القانون رسميا عن سقوط 925 قتيلا واصابة اكثر من 2600 في مدينة الصدر منذ بدء العمليات العسكرية.

وفي السـابع عشر من نيسان أيضاً تجتاح العاصمة بغداد ومدنـاً اخـرى عاصفة ترابيـة تتسـبب بانخفاض مدى الرؤية الى الصـفر فضلا عن توقف الملاحة الجوية ما منع طائـرة رئيس الوزراء نـوري المالكي القادم من العاصمـة البلجيكيـة بروكسـل بالهبـوط ما دفعـه الى تغيير وجهته نحـو اربيل ليهبـط في مطارها وكان في اسـتقباله رئيس اقليم كردسـتان العراق مسعود بارزاني حيث عقدا إجتماعا لبحـث تطورات العملية السياسـية والأوضـاع العامة في البـلاد في غضـون ذلك اعلنـت اكثر من خمسـة الاف حالة اختناق جراء عاصفة ترابية.

وفي العشـرين مـن نيسـان وزيـرة الخارجيـة الامريكية كونداليـزا رايـس تـزور العـراق وتلتقي رئيس الوزراء نـوري المالكـي أول مـرة بعـد عمليـات عسـكرية ضـد الميليشيات المسلحة في البصرة ومدينة الصدر حيث اتفقا على ضرورة مواجهة الميليشيات وحصر السلاح بيد الدولة وقـال المالكي خلال لقائـه بالوزيرة الزائرة "ان ما حصـل في البصـرة يعد ضـربة قوية لكل الخارجـين عن القانون، وحدثـاً كبـيراً يحتـاج الى الاهتمـام" مضيفاً "انـه يمثل تصميم حكومته علـى مواجهة الميليشيات، لان وجودها ليس من مصلحة العراق ، ولايخدم مستقبل المنطقة".

وقـال رئيـس الـوزراء ان احداث البصـرة تمخضـت عنها انعكاسـات ايجابيـة متعـددة الجوانـب، ومنهـا قـرارات المجلـس السياسـي للامـن الوطنـي، والمواقـف الداعمـة للتحالـف الكردسـتاني والائتلاف العراقـي الموحد وجبهة التوافق، وموقف العشـائر الذي قال المالكي انه يحدث أول مرة في العراق حيث اعلن شـيوخ العشـائر انهم ضـد هذه الميليشـيات.وفي الثاني والعشرين من نيسـان، يتواصل النقاش الحكومي البرلمـاني حول الارتقـاء بعمل مجلس الـوزراء وذلك من خلال تضـييف نائب رئيس الـوزراء برهم صـالح الذي قدم للبرلمان برنامجا لاعمار العراق يهدف الى ايجاد وسـائل غير تقليدية لتنفيذ المشـاريع واكد صالح ان الهدف من البرنامج الذي قدمه للبرلمان بشأن حملة الاعمار هو ايجاد طرق ووسـائل غير تقليدية لأجل تحريك وتنفيذ المشـاريع العمرانيـة وخلـق فرص عمـل جديـدة وتقديم حلـول سـريعة لمعانـاة المواطن وتنميـة القطـاع الخاص وتوفير مناخ ملائم للاستثمار.

وفي الرابـع والعشـرين من نيسـان وبعد أربعـة ايام من زيـارة رايـس للعـراق، كانت بغـداد على موعد مـع زيارة وزيـر الخارجية البريطاني ديفيـد ميليبـاند الذي بحث مع طالباني والمالكي العلاقات الثنائية في اطار جهود الانفتاح الدبلوماسي الذي تعيشه بغداد.